

## (مجيء الله في ظلل من الغمام)

### (ما قاله المفسرون في ذلك)

قال تعالى في سورة البقرة ٢١٠ (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور).

اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فقال بعضهم الكلام على حذف مضاف أي هل ينظرون إلا أن يأتيهم أمر الله حيث أن الله تعالى ينتزه عن المجيء والذهاب بذاته وذلك على حد قوله (واسأل القرية) أي أهلها، واختاره الأستاذ الإمام وأيده بقوله تعالى (إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي أمر ربك).

وقال بعضهم الكلام على حذف المفعول أي هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله بما وعدهم من الساعة والعذاب والحساب وهذا نظير قوله تعالى (فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا) أي أتاهم بخذلانه إياهم. ونظير قوله (فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم).

وقال الإمام الرازي: أن أحسن تفسير عندي لهذه الآية أنها نزلت اليهود حيث أنهم قالوا لموسى (لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة) وهنا قال عنهم (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) أي أنهم لن يؤمنوا بك يا محمد إلا بذلك كما كانوا يطلبوه من موسى قبلك.

### (ما أفهمه في هذا الموضوع)

أقول أن هذا التفسير حسن لو كان الكلام في اليهود، ولكن الآية من أولها إنما هي في المؤمنين حيث قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين فإن زلتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا أن الله عزيز حكيم) ثم قال عقب ذلك (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام) وحينئذ فهذه الآية في حق المؤمنين، لا في حق اليهود، والذي ألجأ المفسرين إلى هذه التمحلات هو أنهم قد فهموا جميعاً أن الآية تنص على إتيان الله في ظلل من الغمام بالفعل ولذلك اضطروا إلى تأويلها بما سمعت من التأويلات وغيرها مما هو أضعف منها مع أن الآية إنما تقول: يا أيها الذين آمنوا إذا كنتم لا تكتفون بالبينات والبراهين التي توجب عليكم أن تدخلوا في السلم كافة فهل تنتظرون في ذلك إلا أن يأتيكم الله في ظلل من الغمام ليفهمكم ذلك بنفسه، ويعلمكم إياه ويقنعكم به، أي مع علمكم بأن مجيء الله غير ممكن ومستحيل، فإذا لم تكتفوا بالبينات، ولم تقتنعوا بالبراهين فلا تطلبوا زيادة عليها. وذلك مثل أن تقول لرجل جاءه أمر من السلطان أن يفعل كذا فشك في هذا الأمر ولم يعمل بمقتضاه (هل تنتظر إلا أن يأتيك السلطان بنفسه ليبلغك أمره) فإن هذه العبارات لا تقيد أن السلطان سيأتي له بالفعل، وإنما هو كناية عن كونه إذا لم يكتف بأمر السلطان ولم يقتنع به فلا ينتظر سواه.

وهذه الآية هي بهذا المعنى أي إذا لم تدخلوا أيها المؤمنون كافة في السلم والوفاق والمسالمة لم تكونوا يدا واجدة وعلى قلب واحد، ولم تعتصموا بحبل الله جميعاً، بل زللتهم في ذلك من بعد ما جاءتكم البينات فلا تنتظروا أن يأتيكم الله فيظلل من الغمام ليفهمكم إياه ويقنعكم بلزومه.

ويحتمل أن يكون الضمير في قوله (هل ينظرون) راجعاً إلى الذين اتبعوا خطوات الشيطان سواء كانوا من المؤمنين أو الكافرين أي هل ينظر الذين اتبعوا خطوات الشيطان ولم يتبعوا ما أنزل الله على رسله من البشر إلا أن يأتيهم الله بنفسه بدون واسطة البشر أو تأتيهم الملائكة بذاتها مما هو غير ممكن.

وعلى تفسيرنا هذا بكلا احتماليه لا يحتاج الآية إلى أي تأويل أو تمحل لأنها لا تنص على مجيء الله بالفعل.

وعلى فرض أنها تنص على مجيئه في ظلل من الغمام بالفعل واضطررنا بسبب ذلك أن نفسر مجيئه بمجيء أمره أو بما وعد به من العذاب يوم القيامة كما يقولون فليس المراد من ظلل الغمام حينئذ قطع السحاب كما قالوا بل المناسب حينئذ أن يكون المراد بها ظلل وشبهات الشرك وظلمات الكفر وغمام الخطيئات والسيئات حتى تكون هناك مناسبة وعلاقة بين عذاب الله وبين هذا العذاب إلا بتمحل زائد كما فعلوا، مما لا حاجة لذكره هنا.

وعليه فيكون معنى الآية حينئذ أن عذاب الله يأتي للناس حينما يكونون في ظلل من غمام الشرك والكفر والسيئات والخطيئات. وعلى كل فانه أعلم بمراده الحقيقي من ذلك.